



في وقت تجددت فيه المجازر بريف إدلب، ظهر أمس الأربعاء، بفعل سلسلة غارات استهدفت مدارس في بلدة حاس جنوب المحافظة التي تسيطر عليها المعارضة السورية، وأدت إلى مقتل أكثر من عشرين شخصاً، معظمهم أطفال، لا يزال النظام يلقي قذائفه على إدلب، منذ نحو أسبوع، مخلفاً نحو 200 شخص ما بين قتيل وجريح. ويأتي ذلك في حين من المحتمل أن تصاعد المعارك في محاور عدة بمحافظة حلب.

وقد تحدّم المعارك على جبهات القتال بين فصائل المعارضة والنظام وميليشيات تسانده شرق المدينة وجنوبها من جهة، أو بين المعارضة من جهة، وتنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) و"قوات سوريا الديمقراطية" والنظام من جهة ثانية، على جبهات شمال المحافظة الحدودية.

وشهدت محافظة إدلب التي تسيطر المعارضة السورية عليها بشكل كامل (باستثناء بلدي كفريا والفوعة المرتبطتين باتفاق الزيداني) يوماً دامياً جديداً أمس، إذ أدت سلسلة غارات نفذتها طائرات "سوخوي 22" روسية الصنع، إلى مقتل وجرح عشرات المدنيين معظمهم من الأطفال، في بلدة صغيرة جنوب إدلب.

إلقاء مظلات شديدة الانفجار:

وقال الناشط الإعلامي في المحافظة، جابر أبو محمد، لـ"العربي الجديد"، إن "طائرة حربية من نوع سوخوي 22 ألقت 6 مظلات محمّلة بالصواريخ شديدة الانفجار (وتطابقت هذه المعلومات مع مشاهد فيديو بثها ناشطون في بلدة حاس على الإنترنت)، مستهدفة تجمع مدارس في بلدة حاس بريف إدلب، مخلفةً حصيلةً أولية، 20 قتيلاً وعشرات الجرحى، معظمهم من الأطفال إضافة إلى أساتذة مدارس".

وفيما أضاف الناشط الإعلامي أن "المصابين نقلوا إلى أغلب النقاط الطبية القريبة من بلدة حاس، في حين نقل بعضهم إلى المشافي الحدودية"، أظهرت مجموعة مشاهد عرضها ناشطون من البلدة المستهدفة على الإنترنت، صوراً لأطفالٍ قُتلوا في الهجوم وقد غطت جثثهم الدماء، ودمار الأبنية المهدمة".

وبلدة حاس هي قرية صغيرة تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة معرة النعمان، على الطريق بين بلدي كفرومة وكفرنبل،

ويسكنها بحسب ناطقين فيها، نحو 10 آلاف نسمة يعمل جلهم في الزراعة، وتحوي آثاراً رومانية قديمة.

ولم تقتصر الغارات على حاس، بل طاولت مناطق أخرى بإدلب، حتى عصر أمس الأربعاء، إذ ألقى طيران النظام المروحي، براميل متفجرة على الأطراف الجنوبية لمدينة خان شيخون في ريف إدلب الجنوبي، في وقت شن الطيران الحربي السوري غارات على مدينة خان شيخون مخلفة إصابات بين المدنيين.

كما استهدف القصف الجوي مناطق أخرى في ذات المحافظة التي أشارت إحصائية "المرصد السوري لحقوق الإنسان"، مساء أول من أمس الثلاثاء، أي قبل مجزرة حاس، أن عدد ضحايا غارات النظام وروسيا في إدلب، بلغت أكثر من 170 قتيلاً وجريحاً خلال الأيام الستة الماضية، مؤكداً أن عدد القتلى قارب الخمسين، بينهم 10 سيدة وعنصر من "الدفاع المدني السوري".

هذا التصاعد الدامي بالقصف الجوي في إدلب، يوازيه احتدام المعارك على جبهات متعددة بمحافظة حلب المجاورة. واستعر القتال جنوب المحافظة بين فصائل "جيش الفتح" و"الجيش السوري الحر" من جهة، وقوات النظام والمليشيات التي تسانده من جهة، وسط غارات كثيفة تمنح الأخيرة غطاءً جوياً في تلك المعارك.

ويأتي هذا بعد إعلان فصائل المعارضة عن بدء معركة لاستعادة منطقة كتيبة الصواريخ قرب خان طومان بريف إدلب الجنوبي، إذ ذكر "تجمع فاستقم" العامل في مدينة حلب، أمس الأربعاء، على حسابه الرسمي على موقع التواصل الاجتماعي "تويتر"، أن "التمهيد بالمدفعية الثقيلة على كتيبة الصواريخ قد بدأ". غير أن الناشط الإعلامي، ماجد الحلبي، قال له "العربي الجديد" إن "عملية الهجوم ربما تكون تباطأت بسبب عدم انضمام بقية الفصائل إليها التي أرادت التحضير أكثر للمعركة قبل خوضها".

نقطة استراتيجية:

وتعتبر كتيبة الصواريخ، وتلة أحد، مدخلاً ضرورياً للوصول إلى مستودعات خان طومان، وتلة مؤتة ومدرسة الحكم، وهي نقاط عسكرية تحكم بمناطق استراتيجية مهمة جنوب محافظة حلب. وقد تمكنت قوات النظام والمليشيات التي تقاتل إلى جانبها، خلال الأيام القليلة الماضية، من إحراز تقدم في بعض هذه المناطق، إضافة إلى تلة بازو القريبة من خان طومان.

وفي هذا الصدد، أعلنت فصائل مناوئة للنظام السوري في حلب، تصدى مقاتليها لرابع محاولة تقدم، قامت بها قوات النظام على جبهات تلة مؤتة وسوق الجبس والراشدين جنوب غرب حلب. وأكدت أن المواجهة أسفرت عن سقوط نحو 30 من عناصر النظام بين قتيل وجريح، بعد وقوعهم في كمين، بالتزامن مع شن الطيران الحربي لغارات كثيفة، استهدفت مناطق البوابية والقراصي وخان طومان في ريف حلب الجنوبي، وبلدة كفرناها في الريف الغربي لحلب.

كما أعلنت مقاتلو المعارضة تدمير منصة إطلاق صواريخ تابعة لحزب الله اللبناني، ليل الثلاثاء-الأربعاء، على تلة أحد جنوب مدينة حلب، مما أدى إلى سقوط قتلى وجروح في صفوف الحزب، نعمتهم بالتزامن صفحات موالية له على الإنترنت.

في غضون ذلك، وفي تحرك من شأنه أن يؤثر على الوضع في حلب التي باتت بؤرة صراع محلي وإقليمي هو الأبرز في سورية هذه الأيام، أعلنت "غرفة عمليات حوار كلس" أن "وحدات حماية الشعب" الكردية، وهي العمود الفقري لـ"قوات سورية الديمقراطية"، شنت هجوماً ضد مقاتلي المعارضة المشاركون في عملية "درع الفرات" من جهة تل المضيق شمال حلب، أثناء قتال "الجيش السوري الحر" ضد تنظيم "داعش" في تلك المناطق.

ويأتي ذلك، بعدما قصف طيران النظام تل جيجان شمالي حلب، ما أودى بحياة ثلاثة مقاتلين من "الجيش الحر" المنضوين في إطار عملية "درع الفرات" المدعومة من تركيا. وتسبب هذا القصف أيضاً بجرح عشرة آخرين، وفق ما أعلنت "غرفة عمليات حوار كلس" التي تتبع لـ"الجيش الحر".

وهذا الاستهداف من جانب طائرات النظام لقوات "درع الفرات"، هو الأول من نوعه منذ انطلاق عملياتها في عمق الأراضي السورية المتاخمة للشريط الحدودي مع تركيا، في 24 من آب/أغسطس الماضي.

تحرير مناطق من يد داعش:

وقد جاء بعد سيطرة "درع الفرات"، يوم الثلاثاء الماضي، على قرى كانت خاضعة لـ"داعش"، وهي: تل جيجان، تل مضيق، وكسار. وبأيادي سقوط هذه القرى بيد قوات "درع الفرات" ضمن توجه لديها لبدء معركة استعادة مدينة الباب من "داعش"، وهي المعقل الأبرز للتنظيم بريف إدلب الشرقي.

ويبدو أن هذه المعركة لا تزال محور سجالٍ سياسي. إذ إن تصريحات كبار المسؤولين الأتراك، وبينهم الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، ورئيس وزرائه، بن علي يلدريم، تؤكد مضي أنقرة في مساعيها لإنهاء وجود "قوات سوريا الديمقراطية" في المناطق الممتدة من نهر الفرات مروراً بمدينتي منبج والباب (يقابلان بعمق الأراضي السورية المناطق الموازية للشريط الحدودي مع تركيا جرابلس والراغي) وصولاً لمدينة بلدتي مارع أعزاز بريف حلب الشمالي.

وإذا كان وصول "درع الفرات" لمدينة الباب الخاضعة لـ"داعش" يbedo مسألة وقت، على الرغم من عدم سهولة المعركة ميدانياً، فإن طريق "درع الفرات" إلى منبج يصطدم بمعوقات سياسية أكثر منها ميدانية. إذ إن منبج تخضع لسيطرة "قوات سوريا الديمقراطية"، والتي تشكل القوات الكردية عمادها الأساسي من المقاتلين والقيادات، وهي مدعومة من التحالف الدولي الذي تقاده واشنطن. وقد حمل وزير الخارجية التركي، مولود جاوش أوغلو، في هذا الإطار، على الإدارة الأمريكية، في آخر تصريحات له.

وقال إن بلاده ماضية في إجراءاتها ضد "وحدات حماية الشعب" الكردية، مهدداً بوجود مخططات لأنقرة، تهدف لإنهاء وجود المقاتلين الأكراد من البلدات والقرى التي تريدها أنقرة "منطقة خالية من الإرهاب"، وقال: "نحن نعرف كيف نخرجهم بوسائلنا وقلنا ذلك للأميركيين".

خلاف بين أنقرة وواشنطن:

حديث الوزير التركي الذي أدلّ فيه لوسائل إعلام محلية، يعكس بوضوح تصاعد الخلاف بين أنقرة وواشنطن بشأن الوضع في الشمال السوري، ولفت جاوش أوغلو إلى تعهد الولايات المتحدة، على لسان نائب الرئيس الأميركي، جو بايدن، ووزير الخارجية، جون كيري، بخروج الوحدات الكردية من "مناطق شرقي نهر الفرات".

لكنه تساءل أيضاً: "لماذا لا تفي الولايات المتحدة بتعهداتها؟ على رئيس الدولة أن يفي بوعده، كما أن على وزير خارجيتها أن يلتزم بوعوده. كم مرة وعدونا؟ ألا تستطعون السيطرة على 200 شخص؟ أو أنكم تتعمدون في عدم فعل ذلك؟"، كما استطرد في تساءله وانتقاده الواضح للتصريف الأميركي.

وتتابع جاوش أوغلو تساءلاتة موجهاً كلامه للجانب الأميركي: "هل تقولون لنا أن نتعاون مع (الوحدات المسلحة التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردي) في الرقة السورية (ضد داعش)؟ ما الذي سيحدث؟ سيقومون بالتطهير العرقي هناك أيضاً"، بحسب قوله.

ويبدو هذا الموقف التركي حاداً وجازماً نحو المضي بعملية "درع الفرات"، للوصول إلى إقامة منطقة تريدها أنقرة خالية من "داعش" وخصومها من الأكراد شمال سوريا. ولطالما اصطدمت أنقرة سابقاً بلاءات واشنطن التي تدعم "وحدات حماية الشعب" الكردية. وتتجدر الإشارة في هذا الإطار، إلى أن النظام السوري سجل موقفاً متماهياً مع الموقف الأميركي ضد الموقف التركي، مهدداً منذ يومين، باستهداف أي طائرة تركية تعبر الحدود السورية.

وهو موقف سياسي فقط أبعد من أن يكون ميدانياً. لأن القوات التركية التي ساندت فصائل "الجيش السوري الحر" في عملية "درع الفرات"، تعمل فعلياً داخل الأراضي السورية منذ أكثر من شهرين. لكن يمكن استجلاء موقف النظام (وربما آماله) من

خلال تصريحات مقربين منه، كعضو "مجلس الشعب" في دمشق عمر أوسى، والذي توقع أن يشهد "شمال سوريا تصعيداً عسكرياً دراماتيكياً بين الجيش السوري وحلفائه ووحدات حماية الشعب وقوات سوريا الديمقراطية من جهة، والجيش التركي والمجموعات الإرهابية(يقصد بها الجيش الحر) من جهة أخرى".

ويأتي كلام أوسى الذي يشغل أيضاً منصب رئيس ما يسمى بـ"المبادرة الوطنية للأكراد السوريين"، في سياق رد فعل دمشق على التقدم الكبير لـ"درع الفرات" شمال سوريا، مطالباً نظام دمشق "بعدم الثقة بالحكومة التركية" بعد "تغير موقفها من الأزمة السورية"، حسب رأيه، قائلاً إن "تركيا تحاول اللعب على الجبال مع روسيا وإيران".

وبداً أوسى كمن يريد إخافة أكراد سوريا من ليس لهم نشاط سياسي أو عسكري، عبر قوله في تصريحات نقلتها عنه مواقع كردية تعمل من محافظة أربيل في إقليم كردستان العراق، إن "التدخل التركي في الأراضي السورية لن يقتصر على جرابلس والراغي ومارع وإنما سيمتد في مرحلة لاحقة إلى تل رفعت وعفرين وإلى جميع مناطق الإدارة الذاتية الكردية".

كما اعتبر أن "الهدف من التدخل التركي ليس محاربة تنظيم داعش الإرهابي وإنما ضرب الإدارة الذاتية في القامشلي وعفرين وكوباني"، وأن "هذا الاجتياح يعني اجتياحاً (الحلف شمال الأطلسي) لسوريا".

وختم أوسى: "إن التدخل التركي جاء بموافقة أميركية من خلال زيارة نائب الرئيس الأميركي، بайдن، قبل أكثر من شهر أنقرة ومن خلال زيارة وزير الدفاع، آشتون كارتر، قبل يومين، وموافقة الپنتاغون".

العربي الجديد

المصادر: